الباب الثالث

الصيام فى الديانات السماوية

الصيام فى الديانات السماوية

منذ بدء الخليقة والله سبحانه وتعالى يحفظ البشرية برسالات سماوية تهدى البشر وتجعلهم على بصيرة من أمرهم، وكانت تلك الرسالات تسعى دوما لتحقيق وحدة الإنسان، وكانت تنظر للإنسان من حيث حالته الروحية والجسدية والفكرية، وقد كان من الصعب على الإنسان أن يوفق بين هذه جميعا دون تلك الرسالات التى يتلقاها عبر من يصطفيهم الله من البشر ومن عباده الصالحين.

وكانت تلك الرسالات السماوية تحمل الشرائع الربانية حتى يمتلك الإنسان زمام نفسه ويتزن ويعمر الكون.

وارتفع وسما مع تلك الشرائع أناس وضل آخرون، فمنهم من آمن بالله وبرسالاته وقوم نفسه أحسن تقويم، ومنهم من ضل واستحل كفره وكان لنفسه من الظالمين.. وهكذا كانت تسير الأمور.

وقد توالت العقائد منذ عهد آدم على البشر، فكان بعضها من وضعهم ولا يربطها بـ "الأصل" السماوى شىء.. وهذه بالطبع ليست ديانات وعقائد ذات أصول كالديانات السماوية التى لم تتغير أبداً عبر الأزمنة فى أية رسالة أوحى بها الله إلى رسله - عليهم أفضل الصلاة والسلام- .

وهى رسالات سماوية ذات تشريع لممارسة العبادة ولها شعائر من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهذه الشعائر قد تتغير من رسالة

لأخرى لكن أصلها ثابت وجميعها يدعو للإيمان بالله وبالتوحيد.

ونحن هنا نهتم بإحدى تلك الشعائر وهى "الصيام" والذى سنتناول كيفيته فى الأديان السماوية الثلاثة:

- الموسوية التى نزلت على سيدنا موسى -كليم الله - عليه السلام- فى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد والتى تحولت لليهودية فيما بعد.

- المسيحية التى أرسل بها المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام- وتحولت للنصرانية فيما بعد أيضا.

- الإسلام الذى ختمت به الرسالات السماوية، وأتى به سيدنا محمد خاتم المرسلين - صلوات الله وسلامه عليه-.

وكل ما يهمنا فى هذا الصدد "الصيام" - كما سبق وقلنا- فى كل من الرسالات الثلاث..فلنتتبع ذلك بادئين بالصيام فى اليهودية ثم المسيحية فالإسلام على التوالى.

* * *

الصيـام فى اليهوديـة

موسى كليم الله – عليه السلام-

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى *إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:٩-١٣].

وقال الله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥١-٥٢].

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى – عليه السلام- لينقذ بنى إسرائيل من ظلم فرعون ويخرجهم من أرض مصر ويخلصهم مما هم فيه من عذاب ومهانة، وقد قال له القوم حينئذ: وقالوا: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤].

وبالفعل حقق الله سبحانه وتعالى وعده وهُزم فرعون وخرج موسى وقومه إلى سيناء متجهين إلى أرض فلسطين بعد أن أوحى له الله بذلك.

وطال سيرهم حتى عطشوا وبحثوا عن الماء فلم يجدوه، فثاروا على موسى – عليه السلام- وطالبوه بالمياه والطعام وقالوا له: إن

بقاءهم بمصر تحت حكم فرعون وظلمه أهون عليهم من خروجهم معه وبقائهم فى الصحراء بلا كلأ ولا ماء.

فدعا موسى ربه لكى ينقذ بنى إسرائيل ويسقيهم ويطعمهم وتقول التوراة فى هذا: **"فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية. وقال لهما بنى إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل حتى الشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع. فقال الرب لموسى ها أنا أحضر لكم خبزاً من السماء فيخرج الشعب يلتقطون حاجة اليوم يومها"** خروج ١٦-٢/ ٤.

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم فى ذلك:﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاتَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[البقرة:٦٠-٦١].

وحين انحصر موسى وقومه بين البحر وفرعون وجنوده الذين تتبعوا آثارهم تشبث بنو إسرائيل بموسى وسألوه أن يجد لهم مخرجا

وخلاصا، فلجأ موسى إلى ربه يسأله فأوحى له: أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق إلى ممرات كأنها شوارع وصلت إلى اثنى عشر ممراً، ونزل كل فريق فى طريق فكانوا اثنتى عشرة أسباطا أمماً.

وساروا مسرعين يعبرون البحر، حتى إذا وصلوا لمنتصف الطريق كان فرعون وجنوده قد وصلوا للشاطئ ونزلوا وراءهم ليلحقوا بهم حتى وصلوا لمنتصف الطريق، وكان موسى وقومه فى تلك الأثناء قد وصلوا للشاطئ الآخر، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب فانطبق الماء عليهم وأغرقهم. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا ولا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾[طه:٧٧-٧٨].

ونجا قوم موسى وهلك الكافرون، وكان البحر حداً فاصلا بين الحق والضلال.

وسكن الروع واطمأنت النفوس، وصدق وعد الله وأقام موسى وبنو إسرائيل فى براح من الأرض وسعة من الرزق.

فلما كشف عنهم العذاب أداروا وجوههم لموسى، يسألونه أن يجعل لهم إلها يعبدونه فقال لهم: أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين. قال الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَّحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ [طه:٨٠-٨٢].

وعادوا يسألونه: يا موسى؟ ألـهذا الدين الذى تدعونا إليه دستور؟ أله كتاب؟.. يا موسى لقد رأينا بأعيننا مصارع القوم الذين ضلوا فاسأل ربك، يبين لنا حدود هذا الدين فى كتاب نقرؤه ونتبعه.

وسأل موسى ربه، أن يمنح قومه كتابا، فيه دين.. فوعده ربه أن سيؤتيه الكتاب بعد أن يعد نفسه لتلقى هذه الأمانة، **ولكن كيف يعد نفسه؟**

أراد الله سبحانه أن يعد موسى نفسه بالصيام للتطهر ثلاثين يوما فصام وتطهر حتى حان الميعاد والميقات، اختار من قومه سبعين رجلا ليرافقوه فى هذا الميعاد، وفى تلقى هذا الوحى، ولكن موسى لم ينتظر إخوانه حتى يخرجوا معه لجبل الطور فى البقعة المباركة وتعجل فسبقهم ليلقى ربه قبلهم، فسأله ربه: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾[طه:٨٣-٨٤]. فأُمِر بالانتظار والتريث عشرة أيام أخرى، حتى يأتى السبعون المختارون ليشاركوه فى تحمل أعباء رسالته.

قال الله تعالى:﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٢].وأمره ربه أن يتمها أربعين ليلة فبقى فى الجبل وتأخر عن قومه وأخلف موعده، فقلق بنو إسرائيل وتزعزع بموسى إيمانهم وظهر السامرى صانع التماثيل فأذكى فيهم روح القلق وعاد بهم لسيرتهم الأولى، قال الله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

وحين عاد موسى لقومه، فزع لنكستهم فى دينهم وارتدادهم فى الكفر.. ورجع غضبان أسفا، وقال يا قوم: بئس ما خلفتمونى من بعدى، أفطال عليكم العهد، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى.. يا قوم: لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم.. قالوا: يا موسى، ما أخلفنا موعدك بملكنا، ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم، فقذفناها، وكذلك ألقى السامرى.

قال الله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٦-٨٧].

وعندما سأل موسى - عليه السلام- السامرى عما فعل كان جريئا متبجحا وقال: بَصُرت بما لم يبصروا به، وتعلمت ما لم يتعلموه.

ولقد عرفت المكان الذى نزل عليك الوحى فيه، وعرفت أنه مبارك، فقبضت حفنة من التراب وألقيتها على الذهب المصهور وصببت منها تمثالا لعجل من ذهب براق وهاج ونفخت فيه، فإذا هو عجل خوار.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]. فدعا عليه

موسى كما جاء فى الآية الكريمة قال الله تعالى:﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَن تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

وشاءت إرادة الله أن يتم نعمته عليهم، ويبسط الأرض الفسيحة، وأوحى الله إلى موسى، أن اضرب بعصاك الحجر، أى حجر تنفجر منه عيون الماء، ليرتوى قومك العطاش فى هذه الصحراء الجدباء، فانبجست منه، اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم، كلوا واشربوا من رزق الله ولاتعثوا فى الأرض مفسدين..وأغدق الله عليهم نعمه وفضله، ولم يترك موسى فرصة يدلهم فيها على الخير والتسامى فى الحياة إلا عرضها عليهم. ولكنهم بطروا بهذه النعم وتعنتوا وكفروا بنعم الله.

وحينما عرض موسى – عليه السلام- عليهم أن يدخلوا الأرض المقدسة رفضوا ذلك وخافوا أهلها. قال الله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا

فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ *قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَّتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٠-٢٦].

وليس هذا فقط بل لقد دفعهم تفكيرهم لمحاولة قتل موسى - عليه السلام- والتخلص منه، فدعا بعضهم لاغتياله والعودة ثانية لمصر والعيش فيها.

وفى بجاحة رفضوا الدخول للأراضى المقدسة وردوا على موسى قائلين: "إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها، فاذهبْ أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون" فاتجه موسى لربه ضارعا مستنجداً: "رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. وقال الله مستجيبا دعوة موسى:﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَّتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾.

ولكن الله يرد عليهم قصدهم دائما وأمر سبحانه بأن يعيشوا أذلة إلى يوم القيامة، وأن يبعث إليهم من يسومهم سوء العذاب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقال الله تعالى:﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ *فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ *وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ

إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَّسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٥-١٦٧].

● هذه نبذة مبسطة عن سيدنا موسى - عليه السلام- فقصته منذ ولادته إلى تلقيه الرسالة بها الكثير من المعجزات والأحداث المثيرة والتى ليس مجالها هنا.

وإلى حديث الصيام مع رسالة سيدنا موسى - عليه السلام- !

***

الصيام فى عهد موسى - عليه السلام

لقد أقام موسى – عليه السلام- أربعين يوما فى "سيناء" صائما بأمر من ربه – كما سبق وأوضحنا- حتى يتلقى ألواح التوراة، وحين انتهى موعده مع ربه – عز وجل- عاد إلى قومه بشريعته..

فهل أصبح صيام الأربعين هذا فرضا أم نفلا على اليهود؟

تزعم اليهود أن هذا الصيام فرض على موسى فقط، وليس عليهم منه شىء، ويفسر مفسرو القرآن الكريم صيام موسى الذى حدثنا عنه القرآن فى تلك الآية:﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٢] بأنه صيام لم يتخلله فطر أبداً.

وقد ذكر فى التوراة – العهد القديم- هذا الصيام فى موضعين منه، الأول: فى سفر الخروج ٢٩-٣٤، والثانى: فى سفر التثنية ٩-١٠.

وعموما سواء كان هذا الصيام فرضا على قومه أم لم يكن فهو "واقع" معترف به منهم- وكان هذا الصيام كفا عن الطعام والشراب والجماع، أى عن كل الشهوات وخاصة أن لقاءه بربه كان مقصورا عليه.

وعن صيام بنى إسرائيل "فرضا" هو يوم واحد فى العام، وهو يوم "الغفران" ويدعون أنه وحده ما افترض عليهم، وما عداه من أصوامهم فهو نفل.

ويبدأون صيام هذا اليوم قبل غروب التاسع من (تشرى) - رأس السنة العبرية- بحوالى ربع ساعة إلى ما بعد غروب العاشر بنحو ربع ساعة.

وهذا الصيام لا يزيد على خمس وعشرين ساعة متتالية، ويطلقون عليه يوم "الكبور" وهو عاشوراء اليهود ومازالوا يصومونه حتى الآن – العهد القديم سفر اللاويين ١٦-٢٩-٣٤-.

وجدير بالذكر أن العهد القديم خلا من نص يقصر فرضية صيام اليهود على هذا اليوم فقط، غاية ما فى الأمر إنه بقى فى العهد القديم ما يشير إليه ولكن لا يطلب الصوم فيه نصا.

ويُلاحظ، أن صيامهم قد خلا من فترة السحور. فعن عمرو بن العاص – رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" سنن الترمذى- الحديث رقم٦٤٣.

فقد كتب على أهل الكتاب – واليهود منهم- أن يستمر فطرهم من بعد الغروب إلى الفجر، وامتاز المسلمون بحل تلك الفترة لهم.

أما صيام النفل فأيامه موزعة على مدار السنة كلها وترتبط بأعياد بعضها له مناسبات وقعت لهم بأنحاء شتى من العالم القديم كمصر وبابل وفارس وغيرها مما حلوا بها قبل الإسلام، وتاريخهم مشحون بهذه المناسبات حتى يكاد كل صوم وارد بالعهد القديم أن يرتبط بحادث، أو يتصل بمشكلة صادفتهم فيشرعون لها صوماً.

وتبلغ أعيادهم المرتبطة بصيام نحو خمسة عشر عيدا أو تزيد، بعضها يقضى بصيام يوم، وبعضها بسبعة أيام، ومن أهم هذه الأعياد

"عيد الفصح" ويعنى "الاجتياز والعبور" وهو عيد اجتيازهم البحر مع موسى - عليه السلام- ويدور هذا العيد بسبب النسىء بين ثانى عشر آذار إلى خامس عشر نيسان.

- **ومن النوافل أيضا:**

الصيام الفردى: ويصومه الأفراد أو الأسر، فى حالات الحزن التى تنزل بهم أو عند التكفير عن خطيئة، اقترفها الفرد منهم.

الصيام الجماعى الثابت: ومن هذا النوع نوع ثابت على مرّ الزمن، كالصيام لذكرى الاضطهاد، والتشريد الذى نزل بهم.

الصيام الجماعى غير الثابت: ويصومونه عند حدوث أشياء تحزنهم وتقلقهم، كالصيام عند رداءة المحصول، أو غارات الجراد، أو الهزائم فى الحروب مثلا.

- **وجدير بالذكر أنه عند الصيام، لايباشر اليهودى النساء، ولايأكل ولا يشرب إلا عند الضرورة القصوى، واليهودى لا يباشر النساء، أيضا فى حالات الحرب.**

***

الصيام الأبدى عن بعض الطعوم فى اليهودية

حرم "العهد" على بنى إسرائيل أنواعا من الطعوم تحريما أبديا، كما حرم بعضها فى ظرف معين، وهذه هى **المحرمات مأخوذة من "العهد"**:

أولا: ما يحرم عند تقديم القرابين:

توجد فى حياة بنى إسرائيل الدينية شريعة القرابين، وهى تقدم عن طريق "كاهن" فى مناسبات عديدة كالخطيئة أو الإثم أو النسيان أو السلامة وغيرها.

ويكون هذا القربان إما حيوان كالبقر أو الغنم مثلا وإما طير، وفى بعض الأحوال يكون دقيقا وزيتا ولبنا أو فطيرا.

ولهذه القرابين نظام وقانون صارم يتناول "العهد" شأنها تفصيلا ويبين ما يجب حيال كل منها.. فمثلا بعض القرابين كـ "تقدمة الكاهن" تحرق كلها ويحرم أكلها.. وبعضها يحرق جزء منها ويكون الباقى من نصيب الكاهن يحل له أكله.. ولكنه محرم على بقية اليهود.

ثانيا: ما حرم من الحيوان:

حرم من حيوان البر كل حيوان "مشقوق الظلف" كالخنزير مثلا أو "مجتر" كالجمل والأرنب.

وعد الكتاب مما حرم أكله تطبيقا للقاعدة أو زيادة عليها: ابن عرس، والفأر والضب بأنواعه والجرذون، والورل، والوزغة،

والعظاية، والحرباء ومنع سفر التثنية طبخ الجدى بلبن أمه ١٤-٢١.

وحرم عليهم من الحيوان أيضا كل ما يمشى على بطنه، أو على أربع من كل ما كثرت أرحله – كل شيء يعد للرحيل- من كل دبيب يدب على الأرض، ولا يستثنى من ذلك إلا ما كان ذا "كراعين" يثب بهما على الأرض فما كان غير ذلك كالكبش وغيره فقد حل.

وحرم عليهم فى "عيد الفطير" فقط وبصفة خاصة- أكل اللحم النيئ والمطبوخ- وجاز لهم أكل اللحم المشوى، وحرم عليهم أيضا فى هذا العيد أكل "الخمير".

ثالثا: ما حرم من الطير:

حرم عليهم من الطير: النسر، والعقاب، والحدأة، والباشق بأجناسه، والغراب بأجناسه، والنعامة، والظليم، والسأف والباز بأجناسه، والبوم، والغواص، والكركى والبجع، والقوق، والرخم، والببغاء بأجناسه والهدهد، والخفاش.

رابعا: ما حرم عليهم من حيوانات البحر:

حرم عليهم كل ما ليس ذا زعانف وحرشف "قشر السمك".

خامسا: حرمت عليهم الشحوم:

حرم عليهم شحم البهائم التى تقدم قرابين، بالإضافة إلى ما جاء فى العهد: "كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا". لاويين ٧-٢٣.

سادسا: حرمت عليهم الميتة:

حرمت ميتة ما حل طعامه، وحرم شحم الميتة، وشحم بهيمة

افترست، ويعتبر فى حكم الميتة ما حل طعامه من كل حيوان حى نطح إنسانا فقتله، لأن العهد يحكم بقتل هذا الحيوان، ويعتبره بالتالى ميتا "سفر اللاويين ١١،٧" و "سفر الخروج ٢٢،١٢".

سابعا: حرم عليهم النجس:

حرم عليهم النجس مثل الدم، فكل الدم المسفوح حرام فى الطير أو البهائم والميتة لأنه فى هذه الحالة يصبح نجسا.

ثامنا: تحريم الخمر:

لا يوجد نص فى العهد يحرمها تحريما تاما، حيث خلت الأسفار الخمسة الأولى من العهد من ذلك، والمفروض أنها تمثل التوراة كما يدعون، وليس فى العهد أن موسى – عليه السلام- شرب خمراً أبداً، ولم يأت من تحريم الخمر إلا الوصية الواردة فى غير "التوراة" عند الدخول فى خيمة الاجتماع تلك التى ضربت لهم أثناء التيه فى الصحراء، حين أوصى "يونا داب" بنيه فى سفر أرحيا ألا يقربوا الخمر – فهل يعتبر التحريم هنا ذا قيمة ؟!.

***

الصيام عن اللحم ونتاج الحيوان فى بنى إسرائيل

إن شرائع السماء لا تحرم ما أدخلت من لحم أو غيره فى صيام أو إفطار، لأن هذه الشرائع لا تؤمن بالتناسخ الذى يعنى أن جسد أى حيوان يمكن أن يكون "ظرفا" لروح إنسان أى أن الإنسان يموت ظاهريا وتظل روحه تنتقل معذبة من جسد لآخر، ومن آدمى لخنزير،

ولكنها لا تموت وهذا كان سائداً قديما فى بعض العقائد كالبرهمية والجانتية.. وليس فى شريعة "العهد" صيام عن لحم حيوان مما حل أكله ونتاجه لا دائما ولا فترة من الوقت.. فهذا اللحم، وهذا النتاج طعام، مثله مثل أى طعام، وأى شراب حل يحرم كله أثناء الصوم فقط، فإذا حل الفطر حل ذلك تماما.

والأسفار الخمسة التى نسبت إلى موسى - عليه السلام- تتنصل -على ما فيها- من هذا اللون من التشريع.

وهذا اللون من الصيام مارسه موسى وعيسى-عليهما السلام- ومحمد ﷺ، فقد تطرقنا من قبل إلى أن موسى - عليه السلام- صام أربعين يوما لم يأكل خلالها ولم يشرب، ولم يعتبر هذا اللون من الصيام فرضا على قومه، وكذلك عيسى - عليه السلام- صام مثلها تماما، ومع ذلك لا يقبل المسيحيون على صيامها متواصلة بعيدا عن المطعم والمشرب، وأيضا صام محمد ﷺ هذا الصيام وأراد أفراد من صحابته مشاركته فنهاهم عن ذلك، ولما ألحوا واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال ﷺ: "لو تأخر لزدتكم"، كالتأديب لهم حين أبوا أن ينتهوا.

وهذا الوصال فى الصوم لا يستطيعه إلا الأنبياء، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه فى هذا الشأن: **"وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين، فأكلفوا من العمل ما تطيقون"** "باب الوصال من أبواب الصيام بصحيح البخارى ج١".

***

الصيام عن الكلام فى بنى إسرائيل

لقد أجمعت الإنسانية فى كل زمان ومكان أن اللسان مهلكة، وأن من علامات العاقل حسن سمته وطول صمته، وكان عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه- يقول: "والله الذى لا إله إلا هو ما على الأرض شىء أحق بطول السجن من اللسان".

وهذا الصمت يمثل ضربا اجتماعيا فى السلوك، وهناك أنواع عديدة من الصمت مارسها بنو إسرائيل غير صمت السلوك منها "آية الصمت" **فماذا يقصدون "بآية الصمت" ؟!**

- **آية الصمت:**

لقد كان الصمت آية فى بنى إسرائيل، وعلامة تبين قدرة الله الشاملة حين يمسك على الناطق لسانه دون مرض به ولا علة فما يستطيع بعد مخاطبة أحد، آية له وللناس من حوله.

- **صمت الشعيرة:**

هو نوع من الصمت مارسه بنوا إسرائيل.. **فماذا قصد به؟!**

"صمت الشعيرة".. هو "صمت الناطق رغبة منه عن الحديث إلى الناس خلوصا للعبادة وحدها".. وهذا الصمت يؤديه صاحبه برغبته وإرادته، وفيه يكف الصامت عن مخاطبة الناس عبادة وشعيرة كما يؤدى غيره من أنواع العبادات.

و"آية الصمت"، و"صمت الشعيرة" أوردهما العهد القديم، وكذلك حكاهما القرآن الكريم فيما أورد من شئون الأمم السابقة.

وهكذا تضمنت تلك الديانة ثلاثة أنواع من الصمت -كما سبق وقلنا- صمت السلوك، وآية الصمت، وصمت الصيام عن الكلام وجاءت فى العهد نصوص صريحة تعتبر إرشادا قيما فى هذا الصدد فمثلا: "الجاهل يكثر الكلام" جامعة ١٠-١٤، ويقول أيضا: "المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم.. أما ذو الفهم فيسكت" – أمثال ١١-١٢، ويرى أن الصامت عاقل: "لذلك يصمت العاقل" عاموس ٥-١٣. هذا عن صمت السلوك.

• أما لآية الصمت إشارتان صريحتان فى "حزقيال" حين أساء بنو إسرائيل وتكررت منهم الخطيئة حتى وهم فى أشد الأوقات لالتماس رضا ربهم وأصبحوا بيتا متمردا لا يستحق رحمة الله ولاخدمات حزقيال ولا جهاده من أجلهم فخوطب حزقيال فى شأنهم وقيل له:

"اذهب، اغلق على نفسك فى وسط بيتك، وأنت، يا ابن آدم، فهاهم "أى بنى إسرائيل" يضعون عليك ربطا، وبقيدونك بها فلا تخرج فى وسطهم وألصق لسانك بحنكك فتبكم ولا تكون لهم رجلا موبخا لأنهم بيت متمرد، فإذا كلمتك، افتح فمك فتقول لهم: هكذا قال السيد الرب: من يسمع فليسمع، ومن يمتنع فليمتنع، لأنهم بيت متمرد" – حزقيال "٣،٢٥،٢٦،٢٧".

• وحاكى القرآن الكريم "آية الصمت" هذه فى بنى إسرائيل عن زكريا - عليه السلام- حين بشرته الملائكة بنسل من زوجته العقيم، فقد طلب - عليه السلام- إلى ربه آية يعرف بها الحمل

ويشكر بها الله، فهداه ربه إلى شكر لا يشغله أثناءه شاغل فقال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**﴾[آل عمران:٤١].

أما عن صيام الصمت كـ (شعيرة) فيكاد يكون هذا اللون من الصيام موجوداً بكل عقيدة تقوم على الكهانة، فقد كانت عزلة الكاهن مدعاة للصمت واعتكافه ضربا من عبادته الصامتة، وقد كثرت فى العهد القديم عبارة: قدسوا صوما، نادوا باعتكاف.

وقد عنى كثير من كتبة أسفار العهد بتسجيل أنماط من هذا الصمت.. وتشير بعض النصوص إلى أن استغراق الصامت فى صمته يكون مصحوبا بذلة التوبة والندم، ويكون الصمت حينئذ فرصة للتوبة التى تشفع لصاحبها كما فى توبة آخاب وذلته: "**فقد شق ثيابه، وجعل مسحا على جسده، واضطجع بالمسح ومشى بسكوت**" ملوك أول ٢١-٢٧.

ومن أندر النصوص لهذه العبادة نصيحة داود - عليه السلام- لبنى إسرائيل: "**ارتعدوا ولا تخطئوا.. تكلموا فى قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا**" - مزمور ٤-٤، وكان داود - عليه السلام- كثير الاعتكاف، روى أنه كان يعتكف يوما ويخرج للناس يوما.

وظل هذا النوع من الصوم فى بنى إسرائيل إلى ظهور المسيح - عليه السلام- ثم يكون بعد ذلك فى عقيدة نصرانية يزاول حتى الآن، ومن الممكن أن يكون هذا اللون من الصمت هو الذى نقوم به إلى الآن فى حالة الحداد على الموتى، حين يقف البعض صامتين دقيقة أو أكثر.

وقد حدثنا القرآن الكريم فى هذا – صيام الصمت- فى بنى إسرائيل حيث مارسته مريم البتول - عليها السلام- ونرى أنها عندما صمتت وأشارت للقوم إلى المسيح فى المهد لم يحتج القوم على صمتها – فمن الواضح أنه كان مألوفا لديهم- بل كان احتجاجهم من إحالتها الجواب عليه فلما تكلم أحنوا رءوسهم لبراءتها - عليها السلام- قال الله تعالى:﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا *فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا *يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا*وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

[مريم:٢٣-٣٣].

***

الصيام عن العمل فى بنى إسرائيل

لقد أوجب العهد على بنى إسرائيل الامتناع عن العمل فى بعض الأوقات وهى:

أولا: يوم السبت من كل أسبوع، وقد شدد فى أمره تشديدا ليس مبعثه مجرد الزجر أو الكراهية للعمل فى ذلك اليوم فقط، بل جعل الإعدام هو العقوبة لكل من يعمل فيه... **"كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل- خروج ١٦-٣١"**.

وليس القتل هنا مجازا عن الطرد أو النبذ بل هو الإعدام حقيقة، وقد طبق هذا على رجل وجد يحتطب يوم السبت أثناء التيه فجاءوا به لموسى وهارون – عليهما السلام- فأمر به.. **"فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات" – عدد ١٥-٣٦**. هذا ما قيل..

ثانيا: اليوم الأول والأخير من عيد الفطير الذى يستغرق سبعة أيام.. ويذكر العهد الامتناع فى هذين اليومين عن العمل.. **"لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذاك وحده يعمل منكم"-خروج ١٢-١٦**.

ثالثا: اليوم الخمسون من قربان الحصيد.. ويقدم قربان الحصيد غد سبت تأتى عطلة العمل بعده بخمسين يوما.. فيوم الخمسين هذا جاء بشأنه.. **"محفلا مقدسا يكون لكم..عملا ما من الشغل لاتعملوا.. فريضة دهرية فى جميع مساكنكم فى أجيالكم" لاويين ٢٣-٢١**.

وهناك عدة أيام أخر لا يسمح فيها بالعمل إلا عملا واحدا هو تقديم القربان، وهو أداء لشعيرة دينية وليس عملا مرتبطا بالاقتصاد ووسائل العيش وأورد العهد فى ذلك:

-يوم "تذكار هتاف البوق".. وهو اليوم الذى يكون أول الشهر السابع، فهو لبنى إسرائيل: **"عطلة تذكار هتاف البوق محفل مقدس، عملا ما من الشغل لا تعملوا.. لكن تقربون وقودا للرب"** لاويين ٢٣-٢٥.

- يوم الكفارة من عاشر الشهر السابع.. وهو بدوره لا عمل فيه إلا لقربان، ومن مارس فيه عملا قضى عليه بالموت.. وأورد العهد بذلك **"وكل نفس تعمل عملا ما فى هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها"** لاويين ٢٣-٢٩.

- اليوم الأول من عيد المظال، والثامن عطلة.. فهذان يومان يكونان عطلة، فعيد المظال يبدأ فى الخامس عشر من الشهر السابع ويستمر سبعة أيام، فأوله وثانيه عطلة عمل "لاويين ٢٣-٤١".

- وهناك إشارة بسفر اليشع تفيد عطلة رأس كل شهر"ملوك ثانى ٤-٢٣،٢٤": فما تقدم من إيقاف عمل الإنسان يتعدى لإيقاف بعض مصادر الإنتاج وتعطيله هو الآخر.

- ويأخذ الرقم "سبعة" دوراً جذريا فى هذا الموضوع، ومصدر الإنتاج هنا الأرض:

- "ست سنين تزرع حقلك، وست سنين تقضب كرمك، وتجمع غلتها، وأما فى السنة السابعة، ففيها يكون للأرض سبت عطلة، سبتا للرب لا تزرع حقلك ولاتقضب كرمك زريع حصيدك- لا تحصد، وعنب كرمك المحول لا تقطف سنة عطلة تكون للأرض" - لاويين ٢٥-٣،٤،٥.

ولم يترك العهد لهم فى ذلك حجة.. "وإذا قلتم: ماذا نأكل فى السنة السابعة إن لم نزرع ولم نجمع غلتنا؟ فإنى آمر ببركتى لكم فى السنة السادسة فتعمل غلة لثلاث سنين فتزرعون السنة الثامنة، وتأكلون من الغلة العتيقة إلى السنة التاسعة" – لاويين ٢٥- ٢٠،٢١.

وقد أشار القرآن الكريم إلى السبت الذى خالفوا أمره.قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء:١٥٤].

• وأخيراً وبعد أن تناولنا كيفية الصيام فى الشريعة اليهودية كفرض أو نفل، وحاولنا أن نوضح صيام الكلام، صيام العمل، نتمنى أن نكون قد وفقنا فى هذا ولننتقل لكيفية الصيام فى المسيحية.

***

الصيـــام فى المسيحيـــة

عيسى - عليه السلام-

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

فهو عيسى ابن مريم ابنة عمران – عليهما السلام- التى كفلها ورباها زكريا فى المحراب، والتى اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين أجمعين،والتى قدر عليها أن تحمل وأن تلد بمشيئة الله.قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[آل عمران:٤٧]

وحين تكلم عنها الناس وازدادت أسئلتهم أمرها الله بألا ترد عليهم وألا تغضب وأن تعلن الصيام عن الكلام، فالله سيتولى الدفاع عنها ويعلن براءتها.

وأمرها سبحانه وتعالى بأن تهز جذع النخلة فتساقط عليها الرطب وأكلت وشربت وأمرها إذا رأت من البشر أحداً ألا تحدثه وأن تقول له: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦].

ولم يخلصها من أزمتها، وحرج موقفها،والشر المحيط بها، إلا رحمة الله التى أدركتها، وبركاته التى حلت على ولدها، فأنطقه الله شاهداً على براءتها، ودافعا هجوم القوم عليها، ولكن بكلام غير ما يألفون

وبدفاع غير ما يتوقعون فقد نطق الوليد. قال الله تعالى:﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦]. وكانت هذه معجزته وكرامة لأمه، وكان بهذا قد سجل أنه نبى الله، وأن الله قد منحه البركة وجعله حصنا لأمه وجعل فى علاجه الشفاء، فيبرئ الأعمى والأبرص، ويحيى الموتى بإذن الله، وأن الله وصاه أن يكون مصليا مزكيا، وأوصاه أن يكون بارا بأمه وأمره ألا يتجبر ولا يتكبر، وألا يشقى نفسه بالمعاصى، وألا يشقى الناس بطغيانه عليهم أو بإشاعة الفساد فيهم.

وعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل. قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٤٨-٥٠].

وجاء عيسى ابن مريم - عليهما السلام- بدعوة الحق والخير والسلام ليدعو بنى إسرائيل الضالين إلى عبادة الله، قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[آل عمران: ٥١]. ولكنهم ازدادوا عنادا وكفرا وصدا عن سبيل الله رغم أن المسيح - عليه

السلام- كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى بالكثير من المعجزات المادية الملموسة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه.. وغير ذلك إلا أنهم كدأبهم دائما مع الأنبياء رفضوا تصديقه والإيمان به.

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

[المائدة: ٧٢].

ولم يكتف اليهود بعدم الإيمان بالدعوة المسيحية، بل آذوا المسيح وعذبوه، ولم يتركوا وسيلة لمضايقته إلا اتبعوها. قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وكفروا، وقالوا على مريم بهتانا عظيما، واتهموها، ونهشوا عرضها، بعد أن أظهر الله على أعينهم براءتها، وما مَثَلُ عيسى عند الله إلا كمثل آدم، خلقه من تراب. وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وحينما شعر عيسى بكفرهم، قال: من أنصارى إلى الله؟ ومن هم الذين يستجيبون لدعوتى فى الله؟ ومن منكم يؤمن بالله !

قال الحواريون نحن أنصار الله، آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون والحواريون هم تلاميذه ومريدوه والمؤمنون به ومصدقوه، وهم السابقون الأولون فى دينه، وهم الحافظون لإنجيله، الدارسون لكتابه،

المفسرون لآياته، المسجلون لأناجيله، وهم الذين سميت الأناجيل بأسمائهم، كإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وإنجيل برنابا، وأناجيل كثيرة لغيرهم.

وقد كتب كل حوارى إنجيله، بحسب ما وعى وروى عن نبيه، وبحسب ما ترسب فى ذهنه من صحبة عيسى، فقد رفعه الله فجأة دون أن يملى كتابه.

فاختلف بنو إسرائيل شيعا وأحزابا فى شأن عيسى ما بين مؤمن به على جهالة وكافر وحاقد، ومنهم الحواريون حاملو رايته وأنصاره إلى الله.

وقال عيسى -عليه السلام- لهم يذكرهم بأنهم كانوا أهل كتاب ويؤكد عقيدة التوحيد. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾

[آل عمران: ٦٥].

وقد زادوا فى تعنتهم، وقال الذين لم ترسخ أقدامهم ولم تفعم قلوبهم بالإيمان يا عيسى ابن مريم، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُّنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَّ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا**

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ العَالَمِينَ﴾[المائدة: ١١٢-١١٥].

قال عيسى: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وبالفعل أنزلها الله عليهم واستجاب لعيسى ولكن فريقا منهم، ماقنع بالمائدة حين رآها تنزل عليهم بين سحابتين، ولا اقتنع بما زخرت من ألوان الطعام والفاكهة. فخانوه، وحنثوا بوعد الله، وبوعد عيسى.

وكان آخر مواقفهم من نبى الله عيسى أن حاولوا قتله فوشوا به لدى الحاكم الرومانى، وذهبت جموعهم مع جنود الحاكم للقبض عليه فشبه الله لهم يهوذا (الأسخربوطى) الخائن الذى أبلغ عن مكان المسيح - عليه السلام- شبهه الله بالمسيح حين خرج من عند المسيح ولم يجده فتم القبض عليه وقتلوه وصلبوه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

***

والآن بعد أن أعددنا هذه النبذة المبسطة عن المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام- نصل لمحطتنا المرجوة وهى كيفية الصيام فى الدين المسيحى !

الصيام فى النصرانية

إذا نظر أى منا إلى الطوائف المسيحية سنجد أنها تنقسم لثلاث طوائف وهى:

*طائفة الكاثوليك *طائفة الأرثوذكس *طائفة البروتستانت أو الإنجليين.

وإذا تساءل أحدنا من أين جاءت هذه الطوائف ولِمَ لم تجتمع فى طائفة واحدة؟ سنقول له إن هذا يرجع لسنة ٣٢٥ ميلادية، حينما أمر الإمبراطور "قسطنطين الكبير" بعقد "المجمع النيقاوى" وفيه قامت نخبة من رجال الدين النصرانى بوضع لائحة تضمنت العقيدة النصرانية وأطلق عليها حينئذ "قانون الإيمان" أو "دستور الإيمان"، وعلى ضوء هذا القانون تحددت مبادئ العقيدة النصرانية فى اثنى عشر مبدأ.. قضت هذه المبادئ بكفر كل من خرج عليه، أو على إحدى نقاطه.. **فهل بهذا أسدل الستار على العقائد السالفة التى نسبت للمسيح - عليه السلام-؟**

على العكس تماما فقضية الإيمان "بكنيسة واحدة جامعة رسولية" لم تكن نهاية المطاف بل نشب الخلاف من جديد وأصبح واضحا أن العقائد المختلفة انضوت تحت لواءين: أحدهما الكاثوليكية، والآخر: الأرثوذكسية.ومن ثم ظهرت فرقة "المحتجين" منشقة على الكاثوليكية وعرفت باسم "البروتستانت" أو"الإنجليين".وهكذا انتهت النصرانية إلى ثلاث فرق.

وقد كان الخلاف فى هذه المرة حاداً إلى حد أن أحد البطاركة فى القسطنطنية عقد مجمعا قرر فيه أن الكاثوليك وثنيون ولم يكن الكاثوليك أقل حدة منهم، فأعلنوا بدورهم أنه لا وحدة إيمان عند الأرثوذكس، وأضحى "قانون الإيمان" فى خمس أو ست قضايا منه موضع نزاع من جديد.. وحين ضاقت البروتستنتية بهذا اعتصمت بالأناجيل، ونادت بحرية المعتقد، وعدم سلطة رأس الكنيسة على الأتباع. ص٩٥ من "سلاحك أيها المسيحى" "للأب نعمة الله العندارى"

وبعد أن تفرقت الفرق أخذت كل فرقة تباشر نشاطها الدينى، وتعنى بدراسات وكهنوت مستقل، فتميزت كل فرقة بفلسفة خاصة، كانت أصلا لتشريعاتها المختلفة للمجتمع الكنسى التابع لها.

ولهذا كان الصوم مختلفا لدى تلك الفرق وأصبح شريعة كنائسية تكيفها الكنيسة حسب مقتضيات الزمان والمكان. **فكيف كان صيام الطوائف الثلاث؟!**

***

الصيام فى المذهب الكاثوليكى

لقد أرست الكنيسة الكاثوليكية مبدأ خطيراً على اعتبار أن الكتب المقدسة "لم تذكر كل شيء" وخلاصة هذا أن "البابا" – بابا روما – نائب المسيح فى الأرض، وأنه معصوم من الخطأ فى أحكامه الدينية فكل ما يشرعه فى جانب الإيمان وما يحدده فى العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل، كما أنها أيضا ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها.

وله أيضا أن ينشر تعليما إيمانيا ويحتم حفظه. لأن فحص الآيات أمر خاص به منذ أجيال عديدة. "شرح التعليم المسيحى" ج١ للقس يوسف لويس.

وحصرت كل المبادئ وغيرها فى السلطة الروحية فى شخص "البابا" فأصبح يتمتع بنفوذ لا حدود له. فمن حقه التشريع، وتقرير المبادئ، والنظر فيما مضى منها وتطويره، وهذه الحقوق جعلت البابوية الكاثوليكية فى ذاتها إنجيلا آخر مفتوحا يستطيع أى البابوات أن يسطر فيه ما شاء ولو لم يكن ما سطر من تشريع مستمداً من نصوص الأناجيل، ويسمى مع ذلك شريعة كنسية، ومن هذه الشرائع الكنسية: الصيام والانقطاع. **فكيف كان الصيام الكاثوليكى؟**

- **الصيام الكاثوليكى:**

الصيام شريعة كنائسية، تكيفها الكنيسة حسب مقتضيات الزمان والمكان، ويحتل الصيام، الوصية الثانية، من وصايا الكنيسة ونصها:

صم الصوم الكبير وسائر الأصوام المفروضة.

- يبدأ الصيام فى الكاثوليكية، من نصف الليل إلى نصف النهار، والامتناع فيه عن المأكل والمشرب، ليس غير، ولا يلتزم الكاثوليكى، بصيام السبت والأحد، والأعياد التى تأتى فى أيام الصيام.

- ولكن جعلت الكاثوليكية من العبادات المرفوعة "لمريم" صيام السبت.

- يبتدئ الإلزام بالصيام "بعد انتهاء السنة الخامسة عشرة من العمر،وينتهى بالسنة الستين للرجال،والخمسين للنساء على الأرجح".

- الصيام اللازم فى الكاثوليكية هو "الصيام الكبير" فقط، بعد أن أبطلت الكنيسة غيره من أنواع الصيام.

(١) الصوم الكبير:

موسم دينى نصرانى، تراعيه الكنائس النصرانية فى الربيع. وهو بمثابة استعداد لعيد الفصح، وتعقد الكثير من الكنائس، صلوات قداس خاصة خلال هذا الموسم. وإلى جانب حضور تلك الصلوات، يحرص النصارى خلال هذا الصوم الكبير، على الصيام والصلاة، وتقديم القرابين.

يبدأ الصوم الكبير، يوم أربعاء الرماد. فى كثير من الكنائس الغربية.

أما فى الكنائس الكاثوليكية الشرقية، والأرثوذكسية الشرقية، فيبدأ الصوم الكبير يوم الاثنين، وهو يسمى أحيانا باثنين الباعوث أو

شم النسيم. ويستمر الصوم الكبير لمدة أربعين يوما تقريبا، وباستثناء أيام السبت والأحد فى الكنائس الشرقية. وهذه الأربعين يوما تسبق آلام المسيح وصلبه، بالإضافة إلى أسبوع للاستعداد للصوم وأسبوع للآلام فيصبح المجموع ٥٥ يوما.

والعدد أربعون، يستدعى إلى الأذهان، الأربعين يوما التى صامها المسيح - عليه السلام- فى البرية، كما يصف الإنجيل.

وتحتفظ معظم الكنائس بطقوس خاصة بآلام المسيح - عليه السلام- (أى معاناته وموته)، للأسبوع الأخير من الصوم الكبير، الذى يسمى أسبوع الآلام. وفى القرن العاشر الميلادى، أصبح الصوم الكبير فترة للتكفير عن الذنوب، والإعداد لعيد الفصح عند جميع النصارى.

وقد تم تحديد الصوم الكبير، بأربعين يوما، فى القرن السابع الميلادى، أى بعد ظهور المسيح بأكثر من ستمائة سنة.

وبعد أن انتهينا من حديث الصيام لدى الكاثوليك فماذا عن "الانقطاع" أو الصيام عن بعض الأنواع من الأطعمة أثناء الصيام؟

- **الانقطاع:**

يعتبر الانقطاع بدوره شريعة كنسية وهو خاص "بالامتناع" عن أكل اللحم والألبان والبيض بأنواعها يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع وكل أيام الصيام الكبير "وانقطاعات الميلاد والسيدة ومار بطرس".

وأجازت الكاثوليكية " أكل اللحم والبيض يومى الأربعاء والجمعة التابعة لأعياد الميلاد حتى الغطاس، والتابعة للعيد الكبير حتى العنصرة وفى أسبوع المرفع".

ويتأكد الانقطاع بشكل جازم "أيام اثنين الرماد، وخميس وجمعة وسبت أسبوع الآلام، والأربعاء والجمعة من كل الصيامات" "سلاحك أيها المسيحى" للعندارى.

وإذا كان من حق الكنيسة المتمثلة فى البابا سن التشريعات فمن حقها أيضا "الإعفاء"، فمن حق البابا أن يعفى من يشاء من الواجبات الدينية أو بعضها ويفسح له فى ذلك، وهذا "التفسح" يصبح حقا لكل أسقف يستمد سلطته من البابا فى "أبرشيته" وللقس استعمال هذا الحق فى الصيام والانقطاع وغيرهما من الواجبات الدينية.

ومن هذا الحق فى التشريع نرى أن الكنيسة الكاثوليكية أبطلت الإلزام بالصيام فى "عيد الميلاد، وعيد السيدة، وعيد مار بطرس وبولس" وأبقت الإلزام فى جانب الصيام الكبير الذى ينتهى بالفصح مضافا إليه النذر.

وأعفت – فى الانقطاع- المتسولين والمرضى وأصحاب المهن الشاقة أو المزعجة للمعدة والمسافرين والجنود فى ظروف خاصة. "شرح التعليم المسيحى" القس يوسف لويس.

(٢) صيام الصمت فى الكاثوليكية

أخذت الكنيسة بصيام الصمت، ومارسه الكاثوليك، كهنة

وشعباً، فى الأديرة والكنائس وخارجها. وهو يختلف عند رجال الدين عنه عند الشعوب.. ويقال إن مجمع الرسل بأورشليم أقره نحو سنة ٧٠م.

فهو عند الشعب منوط بالرغبة، وأيامه قليلة محدودة، والأمر فيه ميسر، حتى لا يتعارض مع العمل الذى يؤديه الفرد.

أما عند رجال الدين فى الأديرة مثلا، فهو لازم، ويرتبط عادة بأيام لها أعيادها، ومناسباتها الدينية.

وقد بلغ صيام الصمت أقصى مداه فى طائفة عمرت جنوب فرنسا وكانت تسمى "الترابيست" وغالت مغالاة شديدة فى الصمت حتى أوجبت على نفسها ألا تتكلم طيلة حياة أفرادها، وألا تهجر مكانها حتى الموت. وقد أخذت هذه الطائفة فى الانقراض وبقى الصمت بصورته الأولى ولازال يمارسه البعض حتى اليوم.

* * *

الصيام فى المذهب الأرثوذكسى

هناك اختلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس فى فلسفة الكهنوت، فأسقف الأرثوذكس ليس مسيحا منظورا، وليس معصوما من الخطأ، فهو بشر تماما له ما للناس من صواب أو خطأ بعكس ما يقره الكاثوليك.

إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر قرارات المجامع المسكونية – وهى مؤتمرات دينية عقدت على مستوى عالمى شامل للنظر فى القضايا الدينية والشئون الكنسية، وكان يأمر بعقدها الملوك المسيحيون المعاصرون لها، وانعقد أولها عام ٣٢٥م- مقدسة ومعصومة لاتخطئ أبداً.

وإذا كان المذهبان يختلفان كثيرا فى مبادئ أصيلة لدى كل منهما إلا أنهما يشتركان معا فى أن من حق الكنيسة التشريع، بل هو أيضا من حق "الأب المتصل برعية"، فهو يستطيع أن يعطيها تشريعا مناسبا، وقد عرف القس شنودة حنا الصيام بقوله: الصوم فى الاصطلاح الكنسى للأرثوذكسية: **" هو الانقطاع عن الطعام فترة من الزمن يأكل بعدها الصائم طعاما خاليا من الدسم الحيوانى"**.

وتحدث عن فترة الانقطاع قائلا: "الذى يحدد فترة الانقطاع هو أبو الاعتراف الذى اختبر حدود الانقطاع والعارف لحالته الروحية".

وهكذا نرى أن القساوسة ذوى الاتصال المباشر برعيتهم هم وحدهم أصحاب التشريع وأصحاب تحديد تلك الشعيرة.

وللكنيسة جانب تشريعى عام فى الأرثوذكسية، فهى مثلا تقضى باستثناء يومى السبت والأحد من الانقطاع، وتسمح لأتباعها بالانقطاع فى سبت واحد هو "السبت الكبير" الذى يحل قبل عيد القيامة مباشرة. "الصوم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية" القس شنودة حنا.

• **وعموما سنوضح فى عدة نقاط كيفية الصيام لدى طائفة الأرثوذكس:**

أولا: يعتبر الصوم الكبير أهم صيام وأعمه عند الأرثوذكس ومدته٥٥ يوما، تنتهى دائما بعيد القيامة، الذى يعقبه الفصح، ويبدأ دائما بيوم "اثنين" من أيام الأسبوع، فيما بين الثانى من فبراير إلى اليوم الثامن من مارس. وهذا الصوم موجود بالكاثوليكية، وهو تشريع كنسى قديم.

ثانيا: يصوم الأرثوذكس، أربعين يوما، يسمونها "صيام الميلاد"، وتكون فى الفترة من ٢٥ نوفمبر إلى ٦ يناير تقريبا، أى قبل عيد الميلاد عند الشرقيين.

ثالثا: تمارس الكنيسة منذ عصر الرسل، صيام الأربعاء، والجمعة، وصيام "العنصرة"، الذى أطلق عليه فيما بعد "صيام الرسل"، ولا ضبط ثابت لهذا الصيام، وإنما يزيد وينقص، فكما أنه لا ابتداء ثابت له، فكذلك لا يحد بعدد معلوم من الأيام.

رابعا: يصوم الأرثوذكس أيضا، للعذراء خمسة عشر يوما، تبدأ فى أول مسرى.

خامسا: شرع "الأنبا أبرام"، للكنيسة السريانية، صيام نينوى، ثلاثة أيام، كالتى قضاها يونان – يونس – عليه السلام- ببطن الحوت، كما ورد بالعهد القديم (يونان ١-١٧)، وقد نقل الأرثوذكس هذا الصيام إلى تشريعاتهم.

سادسا: صيام "البرامون- الاستعداد"، وهو بدوره متفاوت بين يوم وثلاثة أيام، ويسبق عيد الغطاس. أو عيد العماد، الذى يكون فى ١١ طوبة.

فإذا جاء العيد يوم السبت يكون البرامون يوما واحدا (الجمعة)، وإذا كان الأحد فيكون يومين (الجمعة والسبت)، وإذا كان الاثنين فيكون ثلاثة أيام (الجمعة والسبت والأحد).

- **الصيام الأرثوذكسى عن أكل كل ما فيه روح:**

الصيام عند المسيحيين الأرثوذكس، الامتناع عن أكل كل ما فيه روح كلحم الحيوان، وكل ما يتولد منه، أو يستخرج من أصله – من الزفر- ويقتصر الصائم على أكل البقول، ولا ينعقد سر الزواج فى أثناء الصيام.

والصيام عندهم يكون يوم الأربعاء، وهو يوم المؤامرة، التى انتهت بالقبض على عيسى - عليه السلام- ويوم الجمعة، وهو اليوم الذى صلب فيه عيسى - عليه السلام- فى اعتقادهم.

***

الصيام فى المذهب البروتستانتى

انفصم هذا المذهب عن المذهب الكاثوليكى، بثورة قادها زعيمه "مارتن لوثر" ضد مبادئ البابا، ساخرا من مبادئه، ومنكرا عصمته، وأن يكون فحص الآيات الدينية وقفاً عليه وحده، ورأت أنه ينبغى طرح هذا المعتقد، وتناول الناس للأناجيل والنظر فيها وترجمتها حتى لا ينحصر الاجتهاد الدينى فى شخص بعينه.

فإذا كان يرى الكاثوليك "أن الكتب المقدسة لم تذكر كل شىء" فالبروتستانتينية أعلنت أن الأناجيل فيها كل شىء، وهى ذكرت الكفاية للمعتقد النصرانى وأطلقت على نفسها الإنجيلية.

وأعلنت بعض الدول انضمامها لهذا المذهب، وجعلته دينا رسميا لها، وأنكرت البروتستانتينية، "فرض" الصيام، مع ما أنكرت من تشريعات البابوية، وقوانين الكنيسة التى لم تكن فى الإنجيل.

والبروتستانتينية لم تلغ الصيام، بل جعلته منوطا بالرغبة، لأنها ترى أن الأناجيل التى بين أيديها لا تنص صراحة على فرضية الصيام، بجانب أنها ترى صيام المسيح الأربعينى خاصا به. وهى تقر أن الصيام محبوب، وعبادة سامية، لذلك اختطت لنفسها هذا المنهج، فأبطلت الصيام كفرض وأعلنته كرغبة دان بها كل البروتستانت، شرقاً وغرباً.

والبروتستانتينية لم تشرع مواعيد لبدء الصيام أو نهايته، كما لم

تشرع عمرا محددا لابتدائه، فحسب البروتستانتى أن يحس برغبته فى الصيام، فيصوم عقب استيقاظه، ويظل صائما قدر طاقته، فإذا أفطر حل له كل شىء من حيوان وغيره. فالبروتستانتينية لا تأخذ بنظرية "الانقطاع" عن الحيوان ونتاجه، لأنها لم تجدها فى الأناجيل المختلفة.

وعمدت بعض الفرق البروتستانتينية إلى استبدال الصيام بعمل آخر، فرغبت للأتباع، أن يمتنعوا عن بعض الأطعمة التى يشتهونها، ويدخرون ثمنها ليعطى للفقراء.

• **أما بالنسبة للانقطاع:**

فالبروتستانتينية لا تأخذ بتلك النظرية فى الامتناع عن الحيوان ونتاجه لأنها لم تحظ بها فى الأناجيل المختلفة، ويستمسك أقطابها بنصوص تشهر بالداعين إلى الانقطاع والمانعين الناس أكل ما أحل الله مثل: "مرائين ينطقون بالكذب، وضمائرهم مكوية، ويمنعون عن الزواج، وعن أكل أطعمة خلقها الله ليتناولها بشكر كل من آمن وعرف الحق"- رسالة القديس بولس إلى تيموتاوس (الفصل الرابع).

* * *

• **وهكذا يتضح مما سبق أن طوائف النصارى المختلفة اتفقت على بعض الأمور واختلفت فى البعض الآخر. ومما اتفقت الفرق المسيحية عليه فيما يختص بالصيام، الآتى:**

- تمليك الكنيسة حق تشريع الصيام بألوانه وأشكاله ورفع الأناجيل من طريق تشريع الصيام.

- اعتبار "الصلة الجنسية" والمباشرة لا شأن لها بالصيام، ولا تفسده من قريب أو من بعيد.

- **أوجه الاختلاف بين صيام فرق النصارى:**

يختلف الصيام بين الفرق المسيحية فيما يلى:

١- لم تتفق فى فرضية الصيام.

٢- لم تتفق فى ابتداء الصيام ونهايته، وكذلك فى مدته الزمنية.

٣- الصمت : يقبل عليه الكاثوليك ، وهو ذو شأن فى شعائرهم الدينية.

٤- الحيوان ونتاجه: يمتنع عنه الكاثوليك والأرثوذكس، ويرفضه البروتستانت.

٥- صيام السبت أقرته الكاثوليكية، ومنعته الأرثوذكسية، إلا فى سبت واحد، يقع قبل عيد القيامة مباشرة.

٦- بالنسبة للعمل والكف عنه فلم يجبر المسيحيون على ما ورد بالعهد القديم، ولم يقدسوا كل هذه العطلات، وأقروا فيما بينهم يوم "الأحد".

***

الصيـام فى الشريعـة الإسلاميـة

الصيام فى الشريعة الإسلامية

قبل أن نتحدث عن الصيام فى الشريعة الإسلامية لابد لنا من التوقف عند أحوال الجزيرة قبل أن يهبط الدين الإسلامى بتشريعاته فى تلك البقعة الغالية.. **فبماذا كانت تدين الجزيرة العربية فى ذلك الوقت وهل كانت تمارس صوما معينا أم لا؟!**

الصيام فى الجزيرة العربية قبل الإسلام

الكثير منا يسأل ويتساءل عن الديانات التى سبقت الإسلام فى الجزيرة العربية ولمَ لم يدخل فيها هؤلاء الوثنيون رغم أنها أديان سماوية وتحث على الوحدانية وترك عبادة الأصنام، وهل تأثرت القبائل العربية بشعائرهم؟ هذا ما سنوضحه بإيجاز فيما هو آت.

أولا: بالنسبة للديانة اليهودية:

انتشرت الديانة اليهودية بالجزيرة العربية حينما خرجت قبائل العبرانيين من سيط "راحيل" على سيناء والنفوذ أثناء خروجها من مصر لفلسطين وتنقلها فى تلك الربوع- زهاء أربعين سنة (تاريخ العرب- فيليب متى).

وحين احتكت اليهودية بكل من جاورها من أمم، سواء أكان عربا أو غير عرب كانت "الوحدانية" فى هذه الديانة عاملا فعالا فى اعتناق بعض العرب لها وخصوصا من له جذور دينية ممن يقيمون

على دين إبراهيم الخليل - عليه السلام-. وأيضا من هؤلاء العرب حمو موسى - عليه السلام- هذا الذى صاهر نبى الله موسى بأرض مدين، وهو على دين التوحيد من قبل أن يتلقى موسى الرسالة.

ونرى أيضا اليمن قد عرفت الوحدانية وانتشرت فيها منذ زمن نبى الله سليمان - عليه السلام- قبل الميلاد بألف عام، ثم وجدت اليهودية بعد ذلك فى القرون الأولى الميلادية اهتماما خاصا من بعض ملوك اليمن، حتى أنهم أعلنوا اليهودية دينا رسميا بها، وبقيت كذلك حتى انتهت بانتهاء وطأة غلبة الأحباش بها.

ولقد زاد تدفق الفئات اليهودية إلى الواحات بقلب الجزيرة وجنوبها عندما أنزل الرومان سخطهم عليهم واتخذوا لهم معسكرات وحصونا مستغلين فى ذلك طبيعة الجوار العربى وحمايتهم لمن يستجير بهم.

واحترم العرب رغم جاهليتهم الديانة اليهودية واعتنقها البعض وسمحت الإقامة الأمنية لليهود بين العرب أن يمارسوا شعائرهم التى تأثر بعض العرب بها حتى ظهر أثرها المباشر فى قريش، فمارسوا شعيرتين من شعائر اليهود وهما: الصيام والصمت.

فقد صام اليهود يوم عاشوراء وكان اليهود من أهل خيبر يصومونه وهو عندهم يوم "الكبور" و "الغفران" ويتخذونه عيداً فترتدى النساء الحلى، ويحملن شارات تظهرهن بأجمل هيئة وأحسن زينة (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى).

ونجد أن قريشا قد صامت هذا اليوم وبخاصة فى مكة. وقد جاء بإحدى الروايات أن قريشا أذنبت فى الجاهلية – ذنبا- فتعاظم فى صدورهم فسألوا ما توبتهم؟ فقيل لهم صوم عاشوراء، يوم العاشر من المحرم.

وعرف العرب "الصمت" ومارسوه، وكان صمتا مطبقا يستغرق اليوم كله أو أكثر، أى صمت يوم إلى الليل وظل فيهم حتى جاء الإسلام.

ثانيا: بالنسبة للديانة المسيحية:

انتشرت الديانة المسيحية بين العرب – كما ورد فى تقاليد الكنيسة الشرقية القديمة- حين بشر القديس "توما" بالنصرانية فى بلاد اليمن أثناء سيره للهند فى بعض رحلاته.

وأن "بولس" بشر بها فى الشام فاعتنقها كثير من العرب قبل القرن الثالث الميلادى بزمن طويل. (تاريخ العرب قبل الإسلام- أ. محمد محمد مصطفى النجار).

وعموما انتشرت العقيدة المسيحية بين العرب جنوبا وشمالا، ففى اليمن كانت الدين الرسمى للدولة، وفى الشمال أعلنها الغساسنة دينا رسميا أيضا،وفى سوريا عين"الحارث الثانى" أثناء زيارته للقسطنطينية عام ٥٦٣م "يعقوب البردعى" مطرانا للكنيسة النصرانية السورية التى عرفت فيما بعد بالكنيسة اليعقوبية.

وما لبثت "الحيرة" أن أعلنت النصرانية دينا رسميا لها فى عهد النعمان الثالث "٥٨٠-٦٠٢م".

وعلى الرغم من أن النصرانية طوقت شبه الجزيرة شمالا وجنوبا إلا أنها لم تنجح فى غزوها للقلب – قلب الجزيرة- ففى حين تمتع الشمال والجنوب بحكومات ملكية نظمت شئونها واتخذت لها أديانا رسمية، وسايرت نظم عصرها إلا أن القلب وما حوله لم يمارس شيئا من ذلك كله.

وإذا كان المعتنق لعقيدة فى الشمال والجنوب يجد لها معبداً ورعاة لدينه فهذا لم يتوافر بقلب الجزيرة حينئذ، ومع ذلك فالعرب من أسبق الأمم إلماما بالنصرانية ويسجلون عنها ولها تاريخا حافلا منذ القرون الأولى.. فكثر هذا فى أشعارهم بذكرهم للصليب والإكليل، والدير، والراهب والراهبة... إلخ.

• وبالنسبة للصيام فمن البديهى أن العرب الذين اعتنقوا النصرانية برغبتهم حينئذ أدوا شعائرها وفرائضها من صلاة وصيام وغير ذلك طائعين، سواء أكان الصيام فريضة أم رغبة، وسواء أكان صمتا أو امتناعا عن شهوة البطن والفرج.

بالنسبة للديانة الإسلامية:

حين ظهرت الديانة الإسلامية فى تلك البقعة من الأرض التى كان ينبغى حقا أن تكون ميدانا لآخر الرسالات ومنبتا لخاتم النبيين.. فنشأ الإسلام بين مختلف العقائد وصمد واستطاع بقوة الإقناع أن يبرز عليها فختم عليها بحقه وتقدم عليها بوضوح عقيدته، فليس الإسلام دينا إقليميا ولا فلسفة من فلسفات العصر، ولذا دامت له القوة بشريعته.

وحين دان العرب بالإسلام بعد أن انتشرت بأرضهم تلك الأديان على مر العصور واعتنقوه وشرع الله لهم فيه صياما وسطا ليس "كهنوتيا" رحيما بالمؤمنين يقربهم إلى الله والدار الآخرة، وكان للصيام فى الإسلام تشريعات عديدة نستطيع جمعها فى ثلاث:

أولا: فرض عام ثابت – وحده- وهو شهر رمضان، فصيامه عام ينتظم فيه المسلمون جميعا- رجلا كان أو امرأة.

ثانيا: فرض خاص: - ليس له قسيم- يمكن أن يغنى عنه، ومن هذا الخاص "النذر" وما أوجبه مسلم على نفسه وليس له قسيم يعادله وإنما وجب لقول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ** ﴾[الحج:٢٩].. وهذا الصيام يكون لفرد أو أفراد ويتناول شئونا دينية وأخرى اجتماعية، تكون إحداها سببا مباشرا له، وسنتناول هذا بإسهاب فيما بعد.

ثالثا: صيام التطوع: يمارسه المسلم عن رغبة لا إلزام فيه.. وقد رغبت فيه الشريعة، وله أيام مشهودة على مدار العام.

وكان صحابة الرسول ﷺ يتطوعون ويصومون كثيراً من الأيام، وحدث أن علم النبى ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما- أقسم أن يصوم النهار ويقوم الليل طيلة حياته فسأله النبى ﷺ عن ذلك فقال عبد الله: قد قلته بأبى أنت وأمى. فقال رسول الله ﷺ : **" فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر"** قال عبد الله فإنى أطيق أفضل من ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: **" فصم يوما وأفطر يوما. فذلك صيام داود – عليه السلام – وهو أفضل الصيام"**. قال عبد الله: إنى أطيق أفضل من ذلك. فقال له النبى ﷺ: "لا أفضل من ذلك". (متفق عليه).

* * *

وسنتناول بالتفصيل كل ما يخص الصيام فى الشريعة الإسلامية فيما هو آت.

الصيام فى الشريعة الإسلامية
محمد صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى * فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى:٦-١١].

هو محمد بن عبد الله الذى ولد يتيما فعوضه الله فى يتمه خيراً مما فقده بفقد أبيه، فقد مكن له أن يعيش فى ظلال جده وعمه، وحضانة أمه التى افتقدها وهو فى السادسة من عمره – ثم استوى غلاما فتيا، يتاجر، وعرف الناس، وكسب، وتزوج وأنجب وأصبح يؤوى اليتامى والمساكين.

وقد عوضه الله علما وتجربة وخُلفاً، ورباه فأحسن تربيته، ومنحه نبوة ورسالة وشريعة، وجعله ختاما للأنبياء والمرسلين وجعله أفضل الخلق أجمعين.

وعوضه فى فقره، فأغناه عن الناس، وبارك له تجارته، وأغناه بعزة نفسه، وحسن سمعته، وثقة الناس فيه، وشمول دينه.

هذا هو محمد ﷺ أشرف الخلق خير البشر الصادق الأمين، الصبور، الكريم، السخى، الحيى، صاحب الخلق الكامل، والرحمة المهداة.

هو من كانت الرحمة مهجته، والعدل شريعته، والحب فطرته، والسمو حرفته، ومشاكل الناس عبادته.

هو الإنسان الرسول الذى رفع الله به قدر الحياة.. وهو من قال: **"إنما أنا رحمة مهداة،" فمن يعدل، إن لم أعدل؟!، "ولا تؤمنوا، حتى تحابوا"، "أدبنى ربى فأحسن تأديبى"،.."تنام عيناى، ولاينام قلبى".**

صدقت يا رسول الله.. فهذه ليست إلا ومضات من خصائصك وقبسات من نور هديك.. فأنت المصطفى حبيب الله.. أنت من هيأك ربك لتكون سيداً "فوق" الجميع.. فعشت واحداً بين الجميع.. أنت من أعطيت القدوة وضربت المثل ومهدت الطريق لأمة المسلمين.. أنت يا رسول الله من صلى عليك الله وملائكته ونزلت فيك الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب :٥٦].. وأنت بحق خاتم المرسلين حامل مشعل الإسلام إلى العالم أجمعين.

ومهما تحدثنا عنك لا يمكنا أن نروى ظمأنا من سيرتك العطرة.. وسنكتفى هنا بتناول جانب سخى أتت به شريعتك السمحاء وهو الصيام.. **فهل صمت أنت وأصحابك قبل أن يفرض عليك الصيام فى رمضان؟ وماذا عن الصيام فى رسالتك المحمدية؟!**

لما هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويصوم يوم عاشوراء، وعندما فرض الله تعالى الصيام ونزلت تلك الآيات:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**

طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[البقرة:١٨٣-١٨٥].

كان حينئذ من أراد أن يصوم صام، ومن أراد أن يطعم مسكينا بدلاً من الصوم أطعم مسكينا ولم يصم.. ولكن لم يدم هذا كثيراً حيث نزل قول الله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهنا أوجب الله تعالى صوم رمضان على المقيم وأجاز الفطر للمريض والمسافر.

* * *

صيام رمضان

فرض الله الصوم على المسلمين فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.. **ولكن كيف تلقى المسلمون الأوائل تشريعات الصيام؟!**

من الآيات القرآنية التى نزلت لتحث المسلمين على الصيام فى قول الله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وحين نزلت تلك الآيات كان المجتمع الإسلامى حديث النشأة الدينية وينقسم لفريقين:

فريق يؤمن بكل ما فى كيانه من قوة وإخلاص، ينصاع للأمر فى خشوع وطواعية ويمارسه عن رضا.

وفريق فى بداية الإيمان حتى يتمكن الإسلام من قلبه ويغزو روحه، فيزداد يقينه فيما بعد فى الله.

وكان أمر الصيام فى بدايته مستجيبا للفريقين، فكان "الفرض" على لون من التخيير ذى إلزام.. وكان على المسلم أن يختار واحداً من أمرين على أن يلتزم به:

الأمر الأول: إما صيام نحو ثلاثة وعشرين ساعة، تبدأ من صلاته فريضة العشاء، أو نوم من يريد الصيام بعد المغرب ويستمر هذا لغروب شمس اليوم التالى.

الأمر الثانى: إطعام مسكين بدلاً عن الصيام..أى إذا رأوا الإفطار وترك الصوم مستندا لقول الله تعالى:﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾.

واستمر هذا التخيير، يصاحبه طابع الإلزام، قائما حتى نزل قول الله تعالى:﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ .

عندئذ انتهى "التخيير" ولزم الجميع الصوم ودخل "رمضان" طوراً جديداً ليس فيه استبدال الإطعام بالصوم.

ولكن استمر المسلمون بعدئذ على صيام اليوم كله عدا تلك الفترة الضئيلة من المغرب لصلاة العشاء أو "النوم" حتى نزلت تلك الآية: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾

[البقرة:١٨٧]

وهكذا ثبتت فترة الكف على الوقت من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

• **ويمكنا إذن القول باختصار:** إن رمضان بدأ صيامه بفترة كف تستغرق اليوم كله إلا قليلا.وصاحب ذلك فى البداية وجود "التخيير" الذى يسمح باستبدال الإطعام بالصوم.

ثم انفرد "الصوم" بالوجوب على مكلف لنفس الفترة وانتهى "التخيير" بما سمح فيه من استبدال.

ثم فى مرحلته الأخيرة نزل حل الإفطار إلى مطلع الفجر تخفيفا من رب العالمين. فقد قال الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨].

وبالنسبة لتناول طعام الإفطار فقد حدد الرسول ﷺ الموعد الذى يجب فيه ذلك، وجاء فى الحديث عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه– قال: قال النبى ﷺ: **" إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر الصائم"** أخرجه البخارى ومسلم.

وقد أمرهم أيضا بتعجيل الإفطار فى حديث عن أبى هريرة – رضى الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: **"قال الله عز وجل. أحب عبادى إلىَّ أعجلهم فطراً"** (أخرجه الترمذى). والحكمة فى التعجيل: رفقا بالصائم، وتقوية له على العبادة.

أما وقت السحور فهو بدخول نصف الليل ويسن تأخيره لنص حديث: **"لايزال الناس بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور"**. (أخرجه الإمام أحمد).

وقال أيضا: **"تسحروا فإن فى السحور بركة"** أخرجه الإمام أحمد.

وقد قال رسول الله ﷺ : إن السحور يفصل بين صيام المسلمين

وصيام أهل الكتاب وقد جاء فى الحديث الشريف: **"فصل الله ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر"**.

وقال أيضا: عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نعجل فطرنا وأن نؤخر سحورنا وأن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة"** رواه الطبرانى فى الأوسط.

• وعموما فآيات الصيام جاءت صريحة البيان مفصلة محددة بما لا يدع مجالا لغموض أو مظنة.

والصيام كما رأينا هو فرض من فروض الإسلام الأساسية والمقصود هنا صيام شهر رمضان.. ولكن إذا كان هذا الصيام واجبا وفرضا فهناك أنواع أخرى من الصيام:

منها ما هو واجب ولكنه ليس فرضا: كصيام النذر، وصوم الكفارات.

• **ومنها ما هو منهى عنه (تحريما)**: مثل صيام العيدين قد نهى عنه الرسول ﷺ وهو هنا نهى تحريم.

كذلك نهى النبى عن: صوم أيام التشريق وهى ثلاثة أيام عقب عيد الأضحى فقال النبى ﷺ: **"أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى"**. وهذه الأيام سميت بذلك لأنها تشرق فيها لحوم الضحايا، أى تنشر فى الشمس لتقدد – كما كان يحدث قديما–.

ونهى النبى عن صيام الدهر وقال ﷺ: **" لاصام من صام الأبد"**.

ونهى النبى ﷺ المرأة عن: الصيام تطوعا وزوجها حاضر إلا بإذنه

وجاء هذا الحديث فى ذلك: عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: **" لاتصم المرأة يوما واحدا وزوجها شاهد إلا بإذنه، إلا رمضان"**.

- **ومنها الصيام المكروه تنزيها:** صوم آخر شعبان: وجاء فى حديث للرسول ﷺ: **"إذا انتصف شعبان فلا تصوموا"**.

ومن الصيام المكروه أيضا: إفراد يوم الجمعة أو يوم السبت بالصيام.. الجمعة لأنه عيد أسبوعى للمسلمين والسبت لأن صيامه فيه تشبه باليهود فى إفرادهم السبت بالصيام، وهناك حديث للرسول ﷺ فى ذلك: **" لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده"**.

- صوم يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان.
- وصيام يوم عرفة للحاج.
- ونهى عن الصوم أيام الحيض والنفاس.
- ونهى عن صوم المريض، الذى يخشى على نفسه الهلاك.

- **ومنها ما هو مستحب أو مندوب وله أشكال عدة:**

- صيام شهر المحرم، وأفضله صيام يوم عاشوراء، مع صيام يوم قبله ويوم بعده، وروى أصحاب السنن عن أبى هريرة – رضى الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: **"أفضل الصيام بعد رمضان، صيام شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة، صلاة الليل"**.

- وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وأفضلها الأيام البيض، أى اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربى،

ويقال إنها سميت بذلك لأن القمر يكون فيها أكثر ضياء.. ومن الأحاديث التى وردت فى ذلك ما أخرجه الترمذى عن أبى ذر – رضى الله عنه– عن النبى ﷺ أنه قال: **"من صام من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صيام الدهر"** فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك فى كتابه فى قوله تعالى:﴿**مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

– وأيضا صيام الثلث الأول من شهر ذى الحجة وخصوصا يوم عرفة – لغير الحاج– عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: **" ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها، من عشر ذى الحجة، يعدل – أى: يساوى صيام كل يوم فيها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر"** (وروى الترمذى).

– **وصيام يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع**: وفى ذلك حديث عن أسامة بن زيد – رضى الله عنه– أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له فى ذلك، فقال: **" إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم"** (أخرجه أصحاب السنن).

– **وصيام ستة أيام من شوال**: والأفضل أن تكون متتابعة وأن تكون متصلة بيوم الفطر. ففى صحيح مسلم عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال: **"من صام رمضان، ثم أتبعه بستة من شوال، فكأنما صام الدهر"**.

وقيل أن الحكمة من صوم هذه الأيام، أن النفوس عقب رمضان تكون أرغب فى الطعام، فإذا أعادت للصيام كان شاقا عليها والثواب على قدر المشقة والطاعة لله رب العالمين.

- **صيام يوم وإفطار يوم**: ومن الأحاديث التى وردت فى ذلك ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنه- قال: قال لى رسول الله ﷺ: **"أحب الصيام إلى الله تعالى: صيام داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله، صلاة داود، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه، وينام سدسه"**.

- **كذلك هناك صيام شهر شعبان**: وخاصة الجزء الأول منه، وإكثار الصوم فى الأشهر الحرم وهى:ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب إذ يستحب الإكثار من الصيام فى تلك الأشهر المباركة.

■ وخلاصة الأمر فى ذلك أنه يندب الصوم تطوعا فى جميع أيام السنة، ما عدا الأيام التى ورد النهى عن صيامها، وأن هناك ثلاثة أنواع من الصيام واجب ومستحب ومكروه.. والمكروه ينقسم لقسمين نزيها وتحريما.

* * *

وسنتناول بالشرح والإيضاح أنواع الصيام التى تختص بالشئون الدينية والاجتماعية، وبالطبع هى ليست فرضا بل هى واجبة، وقد نوهنا عنها فى السابق.

أولاً: الصيام الخاص بالشئون الدينية

بالطبع هذا النوع من الصيام يختلف عن صيام رمضان، فهو ليس فرضا بل واجب كصيام الكفارات، أو لشكر الله على نعمه وهو أنواع عديدة:

- **أ- صيام التمتع:**

ما المقصود بالتمتع؟! والمقصود هنا الشخص الذى يعتمر ثم يتحلل من إحرامه ويعود له ثانية قبل الحج ويطلق عليه "متمتع". أما إذا أراد حجا أو عمرة ونوى واحدا منهما أو الاثنين معا صار "محرما"، وهو فى هذه الفترة التى يحرم فيها يتجنب وجوبا "كل شىء يتنعم به، أو يزال به عن النفس أذى" – وبذلك لا يكون متمتعا-.

ويختلف الناس فى الإحرام.. فمنهم من يحرم – فى أشهر الحج- بحج فقط لاعمرة معه، وهذا يعرف فى"اصطلاح" الفقهاء بـ"المفرد".

ومنهم من يحرم – فى أشهر الحج- بحج وعمرة معا يؤديهما فى عمل واحد، حيث يكتفى بطواف واحد وسعى واحد، ويعرف فى "اصطلاح" الفقهاء بـ "القارن".

ومنهم من يحرم – فى أشهر الحج- بعمرة فقط، ثم يؤدى شعائرها ثم يحل منها بحلق الشعر أو تقصيره ويتمتع بما حرم على غيره إلى أن يحل الثامن أو التاسع من ذى الحجة، أو قبل ذلك بقليل فيحرم ثانية بحج، وهذا يعرف فى "اصطلاح" الفقهاء بالمتمتع.. وأيضا هناك من يفرد عمرة فقط فى أشهر الحج أو غيرها..

وإذا دققنا النظر فى أمر "القارن" و"المتمتع"، سنجد أنه بقدر التيسير عليهما هناك تكليف يقابله.. وهذا التكليف يتضح من الآية الكريمة: ﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾

[البقرة: ١٩٦]

وقد نصت الآية الكريمة على ما يجب فى التمتع من هدى أو صيام، وفى هذا قاس الفقهاء القارن على المتمتع وأوجبوا عليه ما أوجبوه على الأول.

والواجب على المتمتع والقارن هنا أحد أمرين، يجب الثانى منهما إذا لم يتيسر الأول وهما: الهدى والصيام.

بالنسبة للهدى فأيسره شاة أو ما شاء الله من النعم كالإبل والبقر والغنم يذبحها بمنى أو مكة.

أما الصيام فعشرة أيام تؤدى على فترتين: الأولى: صيام ثلاثة أيام منها فى أشهر الحج مع عدم وجوب التتابع فيها لليسر، وعليه أن يتم صيامها قبل العودة لوطنه. والثانية: سبعة أيام يصومها بعد أن يستقر بوطنه. وهى أيضا لا يلزم فيها التتابع كسابقتها.

- **ب- صيام الفدية:**

ما المقصود بالفدية هنا؟ المقصود بالفدية أنه فى الحج يتجنب المحرم كل شىء يتنعم به كتجنب الاستمتاع بالمرأة والفسوق ومماراة الناس، وقد جاءت الآية الكريمة موضحة لذلك: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾[البقرة: ١٩٧].

فلو حدث وفعل المحرم شيئا مما حرم عليه، ولم يكن عملا يفسد حجه كالجماع أو استدعاء اللذة العظمى مثلا، كأن يرتدى قميصا أو يتعطر أو يحلق شعره فكل هذا طبيعى لا يفسد الحج ولكن وجبت عليه الفدية.

والمقصود بالفدية هنا أن يكون مخيراً بين ثلاثة أشياء:

إما صيام ثلاثة أيام.. أو صدقة قوامها إطعام ستة مساكين.. أو نسك، وهو ذبح شاة أو أعلى من الأنعام قال الله تعالى: ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[البقرة: ١٩٦].

وقد أكد على ذلك الرسول ﷺ فى العام السادس أثناء عمرته حينما حلق كعب بن عجرة بن أمية البلوى حليف الأنصار - رضوان الله عليه وعليهم- رأسه، فقال له ﷺ: **"انسك شاة، أو أطعم ستة مساكين، أو صم ثلاثة أيام"** فنسك كعب بشاة.

وإذا تأملنا الآية السابقة والحديث سنجد أن الآية بدأت بالأسهل،فالأسهل فى جانب الطاقة المادية للمرء، أما الحديث الشريف فبين الأفضل وهو ما عم خيره.

- **الفرق بين صيام التمتع وصيام الفدية:**

صيام الفدية يختلف عن صيام التمتع بأنه ليس له زمان ولامكان، فيجوز للحاج أن يصوم بمكة أو ببلدته، وكذلك يجوز له أن يطعم أو يذبح حيثما يريد ووقتما يشاء.

- **جـ - صيام الصيد:**

ما المقصود بالصيد ؟!

المقصود بالصيد هنا الذى يتم بمكة، فهذه الأرض حرمها الله ولم يحرمها الناس، وفى الحديث الشريف من رواية الإمام مسلم: **"إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة"**.

وبهذا فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما، أو يجعل منها ميدان قتال.

• ولحرمة هذه الأرض ظواهر:

أولها: تحريم القتال فوقها، فلا تنطلق فيها نار، ولا يرتفع فيها سلاح.. وظاهرة التحريم هذه جعلت تلك البقعة آمنة للناس جميعا.

ثانيها: تحريم اقتلاع نبات منها أو قطع شجر من الأنواع التى تنبت من نفسها.

ثالثها: تحريم صيد حيوان برى وحشى مما لا يستأنسه الناس، أو قتله فيها إلا شريطة أن يكون مؤذيا.

• وهناك بعض الحيوانات والطيور التى يحرم صيدها بمكة وتحرم تلك خارجها إذا كان الإنسان محرما مدة إحرامه. **ولكن ما جزاء من يصيد وهو محرم ؟!**

لقد وضحت الآيات القرآنية ذلك فجاء فى قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[المائدة: ٩٤-٩٦].

إذا تأملنا الآيات الكريمة سيتضح لنا أنه يجب أن يحاكم من صاد

حيوانا محرم صيده، أو قتله، أو أحدث أمر به يتلفه، وأن تتكون محكمته من عضوين مسلمين عادلين عالمين بقانون الجزاء فى الصيد وقانون تلك المحكمة يتمثل فى:

أولا: إما شراء حيوان من الإبل أو البقر أو الغنم مماثل فى القدر والشكل – إن أمكن- ، ثم يأتى الجانى بما اشتراه سليما إلى منى أو مكة فيذبحه بأحدهما ثم يوزع لحمه على المساكين.

ثانيا: أو يقيم الصيد التالف فى يوم تلفه بالمكان الذى أتلفه فيه بطعام، فمثلا لو كان هذا الصيد غزالا قيمته تساوى أردب قمحا فيشتريه الجانى ويوزعه على مساكين المكان ذاته، بأن يعطى كلا منهم مدا، أى مقدار كفين متوسطتين مبسوطتين.

ثالثا: أن يصوم الجانى عن كل مد من هذه الأمداد يوما فى أى مكان أو زمان يروقان له، وإذا ما انتهت الأمداد مثلا لكسر صام عنه يوما كاملا. والجانى يكون مخيراً بين هذه الثلاثة أحكام وله أن يختار ما يناسبه.

* * *

هذا عن الصيام الواجب المرتبط بالشئون الدينية، فماذا عن الصيام الخاص بالشئون الاجتماعية؟!

ثانيا: الصيام الخاص بالشئون الاجتماعية

لقد تناولنا فيما سبق الصيام الدينى الواجب بأنواعه الثلاثة، والآن سنتناول أنواعا أخرى من الصيام تختص بالشئون الاجتماعية، ومن هذا الصيام:

أ- صيام القتل الخطأ.

فما المقصود بهذا ؟

نعنى بالقتل الخطأ هنا القتل دون نية القتل، أو كما يقولون مع سبق الإصرار والترصد، وبالطبع الشريعة الإسلامية وضعت العقوبات لكل مخطئ أو خارج عن القانون قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَّصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهَّ وَكَانَ اللهُّ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ٩٢].

والآية هنا حدثتنا عن القتل الخطأ، وعلى الرغم من أنه ليس فيه عمد إلا أنه إسلاميا يعتبر خطأ جسيما شرعت رحمته للمذنب شرعة تمحو ذنبه وتهدم إثمه.

والقتل الخطأ أنواع:

أولا: قتل مواطن من نفس الدولة الإسلامية سواء أكان مسلما أو غير مسلم.

ثانيا: قتل أحد رعايا دولة أجنبية بالوطن الإسلامى مقيم لشأن من الشئون، ولا فرق هنا إن كان مسلما أو غير مسلم.

ثالثا: قتل عدو صرح له بالدخول لشأن لم تعترض عليه الدولة، كأن يكون مندوبا لتبادل الأسرى مثلا.

رابعا: قتل مسلم من قوم كافرين، وهم أعداء محاربون.

وقد وجب فى هؤلاء أمران:

الأمر الأول:

- أن تدفع دية لأهل القتيل الأول والثانى والثالث يقدرها الشارع بالذهب والفضة والإبل- (وحدة الذهب الدينار، ووحدة الفضة الدرهم) وأعلى دية ألف دينار ذهبا أو ١٢٠٠٠ درهم، أما الإبل فمائة وذلك فى عهد رسول الله ﷺ وبالطبع تقاس قيمتها حسب العصر.

أما حكم الرابع فلا دية له والمسلمون به أولى، لأنه انقطع بإسلامه الميراث بينه وبين ذويه.

الأمر الثانى:

- عتق رقبة مؤمنة، أى رد عبد إلى الحرية.. وبما أن العتق تعذر فلا نلجأ لهذا الحل.
- أو صيام شهرين متتابعين وهذا لتعذر العقاب بالعتق، فالصيام وحده يمكن أن يتوب به المسلم عن القتل الخطأ.

• أما القتل العمد فلا عفو فيه إلا إذا ارتضى ولى دم القتيل، وقد

قال رسول الله ﷺ: **" ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل"**.

والمقصود هنا بأن يعقل "أهل القتيل"، أى يأخذون الدية، وإما أن يقادوا أى يأخذون القصاص.

وقد قال الله تعالى فى القاتل عمداً: ﴿**وَمَن يَّقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣].

وعموما نحن نبحث هنا عن الصيام وصيام القتل الخطأ شهرين متتاليين لتتم توبة القاتل إذا لم يستطع دفع الدية.

ب- صيام الظهار:

ما المقصود بالظهار؟

المقصود بالظهار هنا هو تزوير الواقع، وأن يشبه أحد الأشخاص زوجته بإحدى محارمه قطعا لعلاقة الزوجية بينهما فيقول لها: **"أنت علىَّ كظهر أمى"** وما كانت كذلك ولن تكون. وقد قال الله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾ [الأحزاب: ٤].

وكان الظهار منتشرا فى الجاهلية، وقد قضى الإسلام عليه، وهناك حادثة مشهورة فى الإسلام، حيث إن خولة بنت ثعلبة بن مالك – رضى الله عنها- كانت زوجة لأوس بن الصامت وكان شيخا قد

كبر، وضاق خلقه، فدخل عليها يوما وتحادثا فى شأن ما فراجعته فيه فغضب وقال لها: **أنت علىَّ كظهر أمى.**

وكان هذا يعنى الطلاق فى الجاهلية، وما كان فيه تشريع إسلامى، ثم عاد إليها بعد ساعة يريد أن يقضى منها أمراً فأنكرت عليه وخلصت منه إلى رسول الله ﷺ وشكت إليه أمرها.

قالت: يا رسول الله، أكل مالى، وأفنى شبابى، ونثرت له بطنى -أى أنجبت له الولد- حتى إذا كبرت سنى، وانقطع ولدى ظاهر منى.. اللهم إنى أشكو إليك. وفيها نزلت تلك الآيات القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّن نِسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة:١-٤].

وبهذا التنزيل الكريم لم يعد الظهار طلاقا، وإنما "إثم" يتحمله فاعله وحده. **وليكفر المذنب عن ذنبه أمامه عدة أمور منها:**

- عتق رقبة مؤمن "وهذا لم يعد متوافراً حاليا".
- صيام شهرين متتابعين.

- إطعام ستين مسكينا بإعطاء كل منهم مدين إذا لم يستطع الصوم.

وبأحد هذه الأمور يستطيع المذنب التكفير عن إثمه ويعود إلى ما حرم على نفسه.

ج- صيام اليمين:

ما المقصود باليمين هنا؟

ما نقصده باليمين هنا هو يمين الفرد فى الشئون الاجتماعية، وهى اليمين التى تصدر من المرء نتيجة تقلبه فى شئون حياته وعلاقاته المختلفة بالناس، سواء أكانوا أهله، أو جيرانه، أو أصدقاءه وغير هؤلاء ممن تدعوه الحياة إليهم. **وتلك اليمين أقسام:**

(١) يمين كاذبة:

وهى يمين من يحلف وهو يعلم جيدا أنه كاذب ولا كفارة لها إلا التوبة النصوح.

(٢) يمين لغو:

وهى يمين ليست متعمدة، وتكون قد جرت على اللسان غلبة أو سهواً، ويجب صيانة أسماء الله عز وجل عن اللغو ويقول الله تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٢٥].

وهذا اللغو كما يقول الإمام مالك: "أحسن ما سمعت فى هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشىء يستيقن أنه كذلك، ثم يوجد على غير ذلك، فهو اللغو".

وهذا اليمين ليس له كفارة.. ولكن المالكية يرون فيه كفارة إن تعلقت بأمر مستقبل.

(٣) اليمين المنعقدة:

وهذه اليمين تصدر عن صاحبها مصحوبة بنية وقصد وتصميم نفسى بالتزامه إيجابا أو سلبا:

كأن يقسم الشخص أن يفعل شيئا ثم لا يفعل ذلك فيقول مثلا: بالله لن أذهب إلى هذا المكان فى يومى كذا مثلا، أو "والله لأشترين كذا" ثم لا يلتزم مقتضى يمينه أى يخالف ما أقسم عليه.

وتلك اليمين المنعقدة هى التى تجب عليها الكفارة، **وهذه الكفارة قسمان:**

الأول: وفيه الخيار بين ثلاثة:

١- إما إطعام عشرة مساكين من المسلمين ليسوا ممن يجب على صاحب اليمين الإنفاق عليهم.

٢- أو كسوة عشرة مساكين من المسلمين.

٣- أو عتق رقبة، وهذا لم يعد موجودا الآن.

الثانى: صيام ثلاثة أيام لا يجب فيها التتابع بل يصومها متى يشاء مجتمعة أو متفرقة وقال الله تعالى فى ذلك: ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [المائدة:٨٩].

د- صيام النذر:

ما المقصود بالنذر؟

المقصود به إلزام من الشخص لنفسه بشيء، وليس فى الشريعة ندب إليه ولا أمر به.. وأداء النذر واجب سواء أكان المنذور حجا أو صياما أو صلاة وقد قال الله تعالى:﴿**ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ**﴾[الحج:٢٩].

ومن الخير للإنسان أن يتبصر صيامه الذى نذره حتى لا يتورط فى غير مخرج، وكان ابن عمر يستنكر النذر ويقول: **"أو لم ينهوا عن النذر، إن النبى ﷺ قال: "إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر"** صحيح البخارى.

هـ- صيام التطوع:

ما المقصود بالتطوع؟

صيام التطوع هو للتقرب لله، ولا إلزام فيه فإن شاء المتطوع صام وإن شاء أفطر.

ولكن لابد ألا يلزم الصائم نفسه بما يهلكه أو يرهقه، وفى هذا ورد أن رسول الله ﷺ كرر نصحه لعبد الله بن عمرو بن العاص ليخف من صيامه الدائم، وخيره بين أنواع منه، ولكنه أدرك النصح بعد فوات الأوان، فقد شاخ وهو يلتزم صياما مرهقا، فكان يقول: "ياليتنى قبلت رخصة رسول الله" (البخارى- باب الصيام).

وليس من حسن الرغبة فى التطوع أن تقضى على حق أحد الزوجين، فمن حق الزوج أن يمنع زوجته من صيام تطوع ينال من حقه، وأيضا عليه هو الآخر ألا يتطرق لتطوع ينال من حقها.

وقد قال رسول الله ﷺ: **" لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه"** صحيح البخارى- باب الصيام.

وقال سلمان الفارسى – رضى الله عنه- لأبى الدرداء: **"إن لربك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه"**، وحين سمع النبى ﷺ قول سلمان، قال: "صدق سلمان".

كذلك نهى الشارع الحكيم عن "الوصال فى الصوم بلا إفطار ولاسحور".

وقال رسول الله ﷺ فى ذلك عن ربه سبحانه وتعالى: **"أحب عبادى إلىَّ أعجلهم فطراً"** الإمام النووى- رياض الصالحين.

وقال الرسول ﷺ: **"تسحروا فإن فى السحور بركة"**.

• وعموما بالنسبة لصيام التطوع يمارسه المسلم عن رغبة وهو غير ملزم فيه وقد رغبت فيه الشريعة.. على ألا يمارسه المسلم فى الأيام المكروه الصيام بها أو المحرم الصوم فيها.. وهناك الكثير من الأيام التى يمكن أن نصومها تطوعا دون ضرر ولا ضرار. ملتمسين رضا الله عز وجل.

* * *

الإسلام وصيام الصمت

قد عرف صيام الصمت فى لغة العرب بـ "الضرس" و "الصيام" وهو كان عبادة يمارسها المتعبد يوما أو أكثر صامتا عن الكلام .

والصمت كشعيرة أبطلها الإسلام، ولكنه لم يبطل الصمت كسلوك اجتماعى بعيد عن التقيد بيوم أو أكثر، غير ملتزم فيه بعدم مخاطبة أحد وهو مجرد ممارسة لضبط اللسان عن اللغو، وزلل الكلمة، والخوض فى أعراض الناس، بينما يتخلله الكلام فيما عدا ذلك.. وأثر عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه- قوله: **"من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه"** (أسامة بن منقذ- باب الآداب ص١٧).

وقال رسول الله ﷺ فى هذا: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"**. صحيح البخارى- باب إكرام الضيف.

وقد جاهد الصحابة – رضوان الله عليهم- فى إزالته، فقد حضرت عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه- واقعة حال من هذا القبيل فنهى عنه، وذلك إذ حضره رجلان، سلم عليه أحدهما ولم يسلم الآخر فقال: ما شأنك؟ قال صاحبه: حلف ألا يكلم الناس يوما. فقال ابن مسعود: كلم الناس وسلم عليهم" الإمام ابن كثير- تفسير القرآن الكريم.

وقد قال الإمام النووى – رضى الله عنه- فى ذلك "إنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه". رياض الصالحين- باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان.

* * *

الإسلام واللحم

لم يحرم الإسلام أكل اللحم لأى فترة من الزمن كثرت أو قلت، وقد نزل فى هذا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة:٨٧].

ولقد وقف رسول الله ﷺ يصد البدع التى ظهرت فى بداية الإسلام – عن حسن نية- فمنع صحابته الذين أرادوا أن يمارسوا طقوسا لم يقرها الإسلام فكان منهم من حرم على نفسه اللحم، مع الصيام نهاراً.. ومنهم من حرم على نفسه النوم حتى يتفرغ ليلا لعبادة ربه.. ومنهم من حرم على نفسه النساء.. ومنهم من رأى أن يرتدى المسوح.. وحين بلغ النبى ﷺ أمرهم أرسل إليهم فجمعهم فذكر لهم ما بلغه عنهم فقالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: **"لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتى فهو منى ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى"**. ونزلت فى ذلك قول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا**

أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٥٩].

• وعموما فى الإسلام قائمة منع أبدى تلزم كفا أبديا عنها:

قال الله تعالى:﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٤٥].

وفى الآية تحريم أربعة أشياء:

١- الميتة: من حيوان حل أكله قضى عليه الموت لا عن ذبح له أو صيد.

٢- الدم المسفوح: وهذا الدم كان يستحله عربى الجاهلية إذ يأخذ آلة حادة فيقصد بها بعيره أو حيوانا ما، ثم يحتسى هذا الدم.

٣- لحم الخنزير.

٤- ما ذبح مما حل أكله قربانا لوثن أو نصب، فقد أهل لغير الله به.

٥- وكما حرم شرب الخمر، وكل ما غيب العقل من جامد أو سائل، وقد قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٩٠].

ولا يحل شيء مما تقدم إلا إذا ألجأت الضرورة إليه ووقف الإنسان إزاءه بين الهلاك والطعم منه، فيحل منه قدر ما يمسك الرمق ومن "الشراب" قدر ما يزيل الغصة. قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام:١٤٥].

***

الإسلام والعمل

الإسلام لا يجعل الكف عن العمل عبادة، بل يجعل العمل الشريف عبادة، وليس فى الإسلام أمر إلهى يكف المنتج أو مصدر الإنتاج عن العمل إلا فى أوقات معينة مثل: ساعة الجمعة، ووقتا يقتضيه أداء الصلوات فى أوقاتها فإن أداءها واجب وما يتم الواجب به فهو واجب، وكذلك أجازه لأداء الحج، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيتْ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ ﴾

[الجمعة:٩-١٠].

ولذا كان على المسلم أن يعمل ما وسعته الطاقة ليحصل من الرزق الحلال ما يستطيع وألا تكون الدنيا أكبر همه، وألا ينسى حق جسده، وليعمل قدر طاقته.

• وأخيراً

وبعد أن تناولنا الصيام بالحديث عبر العصور الممتدة منذ بدء الخليقة حتى الرسالة المحمدية يمكنا القول بأن الصوم سلوك غريزى يساعد على سمو النفس ورقيها ويخلصها من العلل ويخفف من حدتها.

وأول من أوصى بالصوم كوسيلة علاجية هو الحكيم أبقراط.

وقد ازداد الاهتمام بالصيام كأسلوب علاجى بعد ميلاد المسيح – عليه السلام- حيث لاحظ أحد الحكماء ويدعى "كونيلوس" سرعة شفاء العبيد مقارنة بالأحرار، وقد علل ذلك بأن الأرقاء أكثر صوما وأكثر التزاما بالصوم العلاجى من الأحرار.

وفى الدول الغربية اهتمت بعض المعاهد الطبية بالصوم العلاجى، حيث وجدته يأتى بنتائج جيدة فى علاج عدد من الأمراض، فهو يصلح المعدة ويطهر الأمعاء من فضلاتها ويحمى الجسم من أمراض الكلى والنقرس والمفاصل المزمنة، ويشفى أمراض القلب والضغط والسكر وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **"صوموا تصحوا"**.

وللصوم فوائد عظيمة منها تعود الصبر والثبات وقوة العزيمة وغض البصر عما حرم الله وصون النفس من ارتكاب المحرمات وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب.. ولما للصوم من منزلة عظيمة تجلت هذا فى الحديث القدسى: **"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به"**.

وهكذا نرى أن المنزلة الرفيعة للصوم تكمن فى التقرب به خالصا لله.. وهو سر لا يمكن أن يحكم به أحد على الآخر، فالإنسان يصعد بالصوم درجات فى الإيمان وترتقى نفسه بالامتثال لأمر الله.

وهكذا لو تحدثنا عن الصوم وفوائده الجمة، سواء الجسدية أو النفسية سنحتاج للمزيد والمزيد من الصفحات ولن نستطيع أن نفيه حقه وسننهى كتابنا كما بدأناه بالآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة:١٨٣]

* * *

المراجع

الصيام من البداية- حتى الإسلام	د. على الخطيب
مقارنة الأديان	د. أحمد شلبى
أحكام الصيام من الكتاب والسنة	أ. متولى الجرجاوى
اليهود والأنبياء	أ. توفيق على وهبة
قصص من القرآن	أ. محمود زهران
أنبياء الله	أ. أحمد بهجت
قصة الحضارة	ول ديورانت
العرائس	الثعلبى النيسابورى
بلاد ما بين النهرين	ديلايورت
الفهرست	لابن النديم
ألوان من ثقافات الشعوب	روث بندكت
تاريخ الحضارة	شارل سنيوبوس
الفلسفة الشرقية	د. محمد غلاب
مقدمة فى معنى الفلسفة	أ.محمد مصطفى حلمى
أبو الأنبياء	عباس محمود العقاد
الصوم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية	القس شنودة حنا

انتصار الحضارة	هنـــرى برستـــــد
الحياة اليومية فى مصر القديمة	ألـــن شـــورتـــــر
ديانة مصر القديمة	أدولـــف أرمـــــان
هيرودوت فى مصر	ترجمة د. وهيب كامل
اللطايف والظرايف	أبو نصـــر المقـــدسى
سلاحك أيها المسيحى	العنـــــــــــدارى
تاريخ العرب	فيليـــب متـــــــى
لطائف المعارف	ابن رجـــب الحنبلـــى
فتح البارى	لابن حجر العسقلانى
نيل الأوطار	الشوكانـــــــــى
رياض الصالحين	للإمـــام النـــــووى

فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبـد الله محمد بن إسماعيل البخارى

العقد الثميـن فى محاســن وبـدائع الأقدميــن من المصريين أحمـــد بـــك كمـــال

***